الفصل الثالث

دوجلاس فيث.. لاعب وراء الكواليس!

(الخيار) الوحيد المتاح أمام إسرائيل هو مواجهة الأعداء العرب حتى هزيمتهم وقبولهم بشرعية تل أبيب التى تمثل قيمنا وقوى الخير). بهذه الكلمات عبر دوجلاس فيث نائب وزير الدفاع الأمريكى عن مدى رؤيته العنصرية.. على رغم حساسية منصبه فى البنتاجون، بل إن خطورة هذا المنصب تتجاوز الولايات المتحدة لتؤثر فى العالم بأسره من خلال الحملة ضد الإرهاب.

ومع ذلك فقد تعرض (فيث) لنقد شديد بسبب أخطاء التخطيط لمرحلة ما بعد غزو العراق.. وتجاهله لدراسات ومواقف أطراف أخرى.. حتى داخل إدارة بوش الحالية. ويبقى أن تعرف أن فيث لديه شركة محاماة..لها فرع فى إسرائيل.. وأكثر من ثلثى عملائها من المصالح الإسرائيلية!

ودوجلاس فيث يتولى منصب نائب وزير الدفاع للسياسات..وهو واحد من أهم المفكرين الذين صاغوا توجهات واستراتيجيات إدارة بوش الحالية.. ومن أهم الشخصيات النافذة

المؤثرة فيها.. وربما كان أقلهم شهرة وظهورًا أمام وسائل الإعلام. ويبدو أنه يجيد العمل من وراء الكواليس أكثر من البروز إلى الأضواء المبهرة والمغرية! وفيث من أقرب المقربين لوزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد.. أو (رومي) كما يهوى بوش أن يطلق عليه.

وقد واجه دوجلاس فيث حملة انتقادات شديدة في ضوء الإخفاقات التي تتعرض لها القوات الأمريكية في العراق.. باعتباره أحد صناع فكر واستراتيجيات الحملة الأمريكية ضد الإرهاب.. وقبل توليه منصبه الحالي.. ترأس فيث مركز السياسة الأمنية CSP.. هذا المركز الذي أسهم بشكل كبير في تدعيم الحملة ضد الإرهاب من الناحية الأيديولوجية. وعلى رغم قلة أو ندرة ظهوره إعلاميًا فإنه يعتبر أحد المحركات الفكرية لوزير الدفاع الأمريكي.. بل إنه أحد أهم الشخصيات المؤثرة في السياسة الخارجية والأمن القومي الأمريكي.

تأثير عالمي ضخم

وباعتباره نائب وزير الدفاع للسياسات.. قام فيث بتحويل أحد الأركان والإدارات.. الغامضة نسبيًا.. إلى أهم المراكز الفكرية المؤثرة في أمريكا.. وفي العالم بأسره. والواقع يشير إلى أن الرئيس بوش قام بتبني وتطبيق كثير من أفكار تلك الإدارة

الحيوية بالبنتاجون. وقد أغضب ذلك اطرافًا أخرى داخل إدارة بوش، خاصة وزارة الخارجية الأمريكية.

يقول ريتشارد بيرل عضو الهيئة الاستشارية الدفاعية بالبنتاجون والذى أسهم فى الاستعانة بـ دوجلاس فيث بالبنتاجون خلال إدارة ريجان.. يقول بيرل: (لا شك أن إدارة السياسة تحظى بأهم الشخصيات الثقافية المؤثرة فى إدارة بوش). ومن جانبه يرى ستيفن هادلى نائب مستشار الأمن القومى: (أن أعضاء تلك الإدارة لديهم الاستعداد للتفكير بشكل مختلف)!

وحقيقة فقد برزت الحاجة إلى فكر مختلف بعد وقوع هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١.. تلك الهجمات التى وقعت بعد ستة أسابيع من تولى دوجلاس فيث مهام منصبه الحالى (فى يوليو ٢٠٠١).. وبرز هذا الفكر المختلف مع انطلاق الحملة الأمريكية العالمية ضد الإرهاب.. يقول فيث بعد بدء تلك الحملة: (تحدثت مع وزير الدفاع الأمريكى حول أساليب تدعيمها وتدعيمه هو شخصيًا.. فرد قائلاً: (إننى بحاجة إلى أفكار جديدة كل يوم).

منذ ذلك التاريخ.. بدأت ماكينة الأفكار إنتاج وتفريخ (إبداعاتها) بسرعة تفوق سرعة الصوت!! وقضى دوجلاس فيث وفريقه المعاون الذى يضم ٤٥٠ شخصًا وقتًا طويلاً لدراسة

العراق وافغانستان ووضعوا تصورهم الاستراتيجى للحرب الأمريكية ضد الإرهاب.. وامتدت دراساتهم لتشمل كل مكان فى العالم.. تقريبًا!

وفيما يتعلق بروسيا درس هذا الفريق أبعاد ونتائج انسحاب الولايات المتحدة من معاهدة الصواريخ الباليستية، وساهموا وشجعوا على التفاوض من أجل تقليص عدد الرءوس النووية بشكل دراماتيكى.. وطالب فيث وإدارته بضرورة توسيع حلف الأطلنطى (الناتو) وتطوير علاقات استراتيجية مع الهند، والإسراع بالتحرك نحو غزو أفغانستان والعراق.

ولكن التركيز الأساسى لـ فيث وفريقه الضخم أكد على أن محاربة الإرهاب تتطلب استراتيجية عسكرية عالمية جديدة للولايات المتحدة. وقد أدت الاستراتيجية الجديدة إلى تقليص القوات الأمريكية فى ألمانيا وكوريا الجنوبية (على عكس الأزمة المفتعلة مع كوريا الشمالية.. وبما يؤكد أنها لم تكن ضمن محور الشر الحقيقى.. بل كانت مجرد ورقة للتمويه والإيحاء بأن الحرب ضد الإرهاب ليست قاصرة على العرب والمسلمين). كما اشتملت تلك الاستراتيجية التفاوض على إنشاء المزيد من القواعد الأمريكية فى مختلف أنحاء العالم.. وفى أماكن جديدة - مثل آسيا الوسطى - حيث تكون الحاجة المستقبلية إليها أكثر

بحكم قرب الموقع الجيوبولوتيكى. ولعل استراتيجية بناء قواعد عسكرية أمريكية جديدة أثرت فى الأسلوب القتالى للجيش الأمريكى.. بل وفى أسلوب استخدام الدبلوماسية الأمريكية على مدى العقود القادمة.

والإدارة المسئول عنها فيث تتولى صياغة سياسة واستراتيجيات البنتاجون.. وهى تقوم بدور محورى وحيوى فى تلك الدراسات التى تقوم بها أطراف أخرى فى الخارجية الأمريكية.. ووكالة المخابرات CIA.. ومجلس الأمن القومى.. وغيرها من الأجهزة المسئولة عن تلك المهمة. وهى تقوم بإطلاق فكرة ما.. ثم تقوم كل الأطراف المختصة بدراستها وتطويرها وتحسينها.

وتولى دوجلاس فيث مهمة أخرى.. تتمثل فى توثيق العلاقات مع هيئة الأركان المشتركة.. والتى تحظى هى الأخرى بإدارة لصياغة السياسات والاستراتيجيات. لذا جرى تعاون وثيق بين الإدارتين.. ويعقد مسئولو الإدارتين اجتماعات يومية لتنقيح آرائهم ودراساتهم قبل رفعها إلى رامسفيلد. ويرى البعض أن النجاح يولد الأعداء. ويبدو أن الإنتاج (الإبداعى) والفكرى لدوجلاس فيث لم يحظ برضى وقناعة الكثيرين. لم يستطع الرجل كسب أصدقاء مؤثرين فى الـ CIA وفى وكالة

استخبارات البنتاجون PIA التى لا ترحب دائمًا بمن ينافسونها فى التحليلات الاستخبارية!

ومن هنا ثارت حملة انتقادات ضد فيث وفريقه المعاون.. وركزت الموجة الأولى منها على (مكتب الخطط الخاصة) هذا المكتب الصغير الذى تم انشاؤه تمهيدًا لشن الحرب ضد العراق. وأطلقت وسائل الإعلام على هذا المكتب مسميات وعبارات مثل: (العصابة) أو (الجماعة السرية جدا) أو (لجنة الظل بالبنتاجون).. على غرار حكومات الظل المعارضة واضطر ويليام لوتى رفيق فيث لاتخاذ خطوة نادرة بعقد مؤتمر صحفى لتوضيح الأمور بعد الحملة التى تعرض لها مكتب الخطط الخاصة. هذه الحملة أكدت تحمل فيث ومكتبه مسئولية اخطاء التخطيط لمرحلة ما بعد الحرب، واتهمته أيضًا بتجاهل الدراسات التى قامت بها وزارة الخارجية الأمريكية فى هذا الشأن. ولكن دونالد رامسفيلد كان له رؤى ورؤية أخرى حيث دافع عن فيث قائلاً: «إنه يقوم بدور جيد»!

أفكار عنصرية

نتعمق أكثر وأكثر داخل عقل وفكر دوجلاس فيث.. لنكتشف أنه يؤمن بفكرة الخير ضد الشر وقوى الظلام. هذه الثنائية الفكرية المطلقة والمسطحة سيطرت على أيديولوجية

ونمط تفكيره. وعلى هذا الأساس صاغ فيث صراع الشرق الأوسط. ولكن هذه الرؤية المطلقة تزداد خطورة مع حساسية وحيوية المنصب الذى يشغله فيث.. فهو واحد من أهم أربعة مناصب بالبنتاجون.

وبحكم منصبه يتولى فيث معالجة وصياغة استراتيجيات الأمن القومى والسياسات الدفاعية الأمريكية. وهو مسئول أيضا عن تطوير السياسات الخاصة بالتحالفات والعلاقات الدفاعية مع الحكومات الأجنبية والمؤسسات العسكرية والمنظمات الدولية. ويتولى فيث تطوير وتنسيق استراتيجية وسياسة الأمن الدولى كما يتولى الإشراف على تنفيذها.. كما أنه يقدم رؤيته وتصوره لكل أنشطة البنتاجون الخاصة بنقل التكنولوجيا على المستوى الدولى..

بكل هذه السلطات والاختصاصات يبدو منصب دوجلاس فيث ذا نفوذ قوى وتأثير كبير.. داخل وخارج الولايات المتحدة. كما أن فيث يحظى بتاريخ عملى كبير.. سواء فى الحكومة أم القطاع الخاص. وبالإضافة إلى عمله فى البيت الأبيض ووزارة الدفاع خلال إدارة ريجان، فإن لديه شركة محاماة فى واشنطن. واشتغل فى مجالات نقل التكنولوجيا والمشروعات المشتركة والاستثمار الأجنبى فى مجال الصناعات الجوية والدفاعية.

وإذا كان فيث يرتبط فكريا وأيديولوجيًا بمدرسة المحافظين الجدد.. فإن خطورته تتمثل فى نقل رؤية تلك المدرسة إلى العالم.. وإلى الشرق الأوسط بشكل خاص، فهؤلاء المحافظون يصوغون العالم ويصورونه على أنه صراع بين قوى الخير المطلقة.. فى مواجهة قوى الشر المطلقة!

ويرى فيث الصراع العربى - الإسرائيلى بذات الرؤية وبذات المصطلحات: الخير.. والشر! وتاريخ فيث حافل بالمواقف والآراء المضادة للعرب بل والمضادة لكل من يتحدى أو يسعى لتحدى إسرائيل. ويؤكد على حقها فى التفوق على العرب!

وكما كان الحال أثناء الحرب الباردة.. يرى فيث أنه لا مجال للمساومة بين العرب وإسرائيل. ومع صياغته للصراع العربى الإسرائيلى تلك العبارات المطلقة.. وهذه الرؤية العنصرية.. يعتبر فيث (أن الخيار الوحيد المتاح أمام إسرائيل هو مواجهة الأعداء العرب حتى تتم هزيمتهم.. وحتى يخضعوا ويقبلوا بشرعية إسرائيل وسيطرتها على فلسطين). ويضيف: (إن إسرائيل تمثل قيمنا وتمثل قوى الخير.. لذا يجب على الولايات المتحدة التوحد معها ودعمها فى مواجهة قوى الظلام)، أى ضد العرب.

ويتمادى فيث فى تصوراته العنصرية قائلاً: (إن معارضة العرب للصهيونية هى محور الصراع مع إسرائيل). بل إنه قدم عدة توصيات لإدارة كارتر عام ١٩٧٩.. اقترح فيها:

● التخلى عن التوجه الكامل القائل بأن الضفة وغزة هما أساس الصراع العربى الإسرائيلى.

● التسليم بأن جوهر المشكلة يتمثل فى رفض العرب قبول دولة يهودية فى فلسطين.

● الابتعاد عن الخوض فى حق إسرائيل فى الضفة الغربية وقطاع غزة.. لأن هذا يزيد الموقف العربى تصلبا.. ويدمر العلاقات الأمريكية الإسرائيلية.. كما يزعم فيث.

● الالتزام بدور الوسيط - وليس الشريك - فى الصراع العربى الإسرائيلى.

وخلال الثمانينات والتسعينات.. واصل نائب وزير الدفاع الأمريكى انتقاد ومعارضة أية سياسة أمريكية لا تتوافق مع رؤيته وتصوره العنصرى. وانتقد إدارة بوش الأب لرفضها منح ضمانات القروض لإسرائيل بهدف إجبار حكومة إسحاق شامير على المشاركة فى مؤتمر مدريد للسلام. ومواصلة حملته المضادة والعنصرية خلال إدارة كلينتون.. وعارض كل الاتفاقيات التى تم التوصل إليها بين الفلسطينيين والإسرائيليين (من أوسلو إلى الخليل وطابا وواى بلانتيشين). واعتبر اتفاقية أوسلو تنازلاً إسرائيليا لصالح الفلسطينيين.. كما أنها ساهمت فى زيادة الطموحات والتوقعات الفلسطينية!

استراتيجية تأمين المملكة!

وفى عام ١٩٩٦ .. شارك فيث وبيرل فى كتابة بحث قدماه لرئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو آنذاك.. وحمل عنوان: (التراجع الواضح: استراتيجية جديدة لتأمين المملكة) يقصد مملكة إسرائيل بالمعنى التوراتى الدينى. وهى إشارة ذات مغزى عميق. وفى ذلك البحث.. نصح التوأم الفكرى بيرل وفيث رئيس الوزراء نتنياهو بالتراجع الصريح والتام عن عملية السلام.. وأعادا تأكيد مزاعم إسرائيل فى أراضيها. وطالبا برفض مبدأ الأرض مقابل السلام.. كأساس للسلام!! ودعا كل من فيث وبيرل إلى دعم القدرات العسكرية الإسرائيلية لمواجهة سوريا والعراق (آنذاك!) والعمل على صياغة علاقة جديدة.. أكثر وثوقا وقوة مع الولايات المتحدة تقوم على الاعتماد على الذات والمصالح المشتركة).

ولكن فيث كان ملكيا أكثر من الملك.. أو إسرائيليا أكثر من نتنياهو الذى قبل - تكتيكيا ومرحليا - اتفاقات أوسلو.. ووقع اتفاقيتين أخريين مع الفلسطينيين.

ويبدو أن وصول نتنياهو إلى الحكم كان نقطة التحول فى السياسة الإسرائيلية، وبداية مراحل التراجع الكامل عن عملية السلام.

وفى مقال مطول كتبه عام ١٩٧٧.. بعنوان (استراتيجية لإسرائيل).. كرر فيث ذات الآراء.. زاعمًا أن عملية السلام تم تصميمها لإضعاف إسرائيل.. وأنه لن يتم تحقيق السلام إلا بعد تحول المنطقة - وخاصة المجتمع الفلسطينى - نحو الديمقراطية!! وبما أن اتفاقية أوسلو حققت توقعات غير واقعية وكافأت الفلسطينيين على سلوكهم السيئ.. فإن الخيار الوحيد أمام إسرائيل هو إعادة بناء سياسة أمنية واستخبارية جديدة فى مناطق السلطة الفلسطينية.. وإعادة احتلال الضفة وغزة. وصحيح أن إسرائيل ستدفع ثمنًا غاليًا من دمائها.. ولكنه ثمن ضرورى للتطهر من السم!! وهذا هو السبيل الوحيد للتخلص من (مصيدة أوسلو)!

ليس غريبًا بعد كل هذا أن يرتبط نشاط وتاريخ دوجلاس فيث بالمنظمات واللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة وخارجها.. خاصة المنظمة الصهيونية الأمريكية (ZOA) التى تعادى العرب فى الولايات المتحدة.. بل وتعادى اليهود الأمريكيين المعارضين لخط الليكود. لذا كافأت تلك المنظمة فيث وجعلته ضيف شرف لاجتماعاتها السنوية على مدى الأعوام الماضية.. وكما يقول موقعها على الإنترنت، إن الشركة تمثل العديد من الصناعات العسكرية الإسرائيلية الكبرى التى تقوم

بمشروعات مشتركة مع الولايات المتحدة فى مجال تصنيع وبيع النظم الصاروخية إلى البنتاجون والعالم.

بعد هذه الجولة فى عقل وفكر وتاريخ دوجلاس فيث.. نرجو أن تكون صورة أحد صناع الشر قد أصبحت أكثر وضوحا وجلاء.. وخطورة!

❑❑❑